

## الفصل الخامس عشر

### ٨٧ - الحرب العظمى فى فلسطين :

هبّت عاصفة على العالم فهزمت الشرق والغرب وخطفّت العقول والنهى وسلبت الألباب والحجى فأصبح المفكرون خاضعين للعاطفة الحيوانية قَرَمِين لسفك الدماء فأعلنت دول أوروبا الكبرى الحرب العظمى والتزمت الدولة التركية الحياد إلا أنها نظمت دوائر الرديف وحولتها إلى شعب عسكر ووزعت على جميع القرى مغلفات كبيرة مغلقة وأمرت المخاتير ألا يفوضوا إلا متى آذنتهم وفى ٢٨ تموز سنة ١٩١٤م استطار الشرق فى الغرب وأعلنت النمسا الحرب على الصرب ودخلت ألمانيا لوكسمبورج وأنذرت البلجيك فى ٢ آب سنة ١٩١٤م وفى ٤ منه أنذرت إنكلترا ألمانيا ثم أعلنت عليها الحرب وفى ٦ منه أعلنت النمسا الحرب على روسيا وفى ١٠ منه أعلنت فرنسا الحرب على ألمانيا وفى ١٢ منه أعلنت إنكلترا الحرب على النمسا وفى ١٣ منه أعلنته فرنسا على النمسا وفى ٢٠ منه احتل الألمان بروكسل عاصمة البلجيك وفى ٦ أيلول سنة ١٩١٤م اجتازوا المارن.

وهناك أمرت الحكومة العثمانية بالنفير العام «سفر برك» وجمعت كافة جنودها المعلمين وساقتهم إلى البلاد ذوات المياه وسلمتهم سلاحاً وأخذت تُمرّنهم على الأصول العسكرية الألمانى وشكلت لجاناً لجمع التكاليف الحربية والمبايعات وأمرتها بمصادرة جميع ما يلزم الحكومة ويوجد عند الأهالى من لباس ومأكول وحيوان ركوب أو عربية نقل فأخفى الأهلون سلمهم وقطعت عن البلاد الواردات الخارجية فتصاعدت الأسعار ودخل السكان فى أزمة لم يكونوا يتوقعونها من قبل فكنا نرى الحالة حالة حرب لكن الحكومة العثمانية كانت متحايدة حتى أتاها نبأ من السر ادورد أغرى وزير خارجية إنكلترا أنه أخذ البارجة «السلطان عثمان»

التي تعمل لحسابهم فى مصانع ارمسترانغ الإنكليزية فأكدت له تركيا أنها تنوى المحافظة على الحياد التام وما غرضهم من تعبئة الجيش إلا ليكونوا مستعدين للمفاجآت والطوارئ<sup>(٥)</sup>، فأجاب غرى أنهم مضطرون لإبقاء جميع البوارج فى ميامهم وسيعوضون الأتراك ما لحقهم من الخسارة. وفى ١٠ منه دخل الطرادان الألمانيان غوين وبرسلو الدردنيل فقبلتهما الحكومة العثمانية وأعلنت فى اليوم التالى أنها ابتاعتهما. وفى ١٦ منه أبلغت دول الاتفاق الحكومة أنهم يحافظون على استقلالها وسلامة أملاكها من طمع كل عدو إذا بقيت معتصمة بالحياد مدة الحرب وفى ٩ أيلول و ١٨ شوال سنة ١٣٣٢هـ ألغت الدولة العثمانية الامتيازات الأجنبية فاستنكر هذا العمل جميع الدول حتى ألمانيا والنمسا وتحول الدردنيل والآستانة والبسفور بسرعة إلى منطقة ألمانية يسيطر عليها الألمان الذين خلقوا الأسلوب الفنى لجر الحكومة العثمانية إلى الحرب وأوعزوا إلى السفارات التركية فسقطت ثلاث منها فى ٢٧ تشرين الأول على ميناء أوديسا وأغرقت سفينة وعطلت باخرة أفرنسية فغضب السفراء وقطعوا علائقهم من الآستانة وطلبوا جوازات السفر حالاً ففاز بعض الاتحاديين بأمنيتهم لاسيما أن جيشهم المدرب قد بلغ مجموعه نصف مليون جندى مسلح وربع مليون فى معسكرات التدريب فأعلنوا الجهاد العام وضربوا الطبل وامتشقوا الحسام. وانقسمت ساحات الحرب فى البلاد إلى أربعة مواضع (١) الدردنيل (٢) القفقاس (٣) العراق (٤) الحجاز وفلسطين. وإنا نترك الأقسام الثلاثة لبعدها عن موضوعنا ونتكلم عن فلسطين والثورة العربية الفتية.

تعين أحمد جمال باشا ناظر حربية الأتراك قائداً عاماً إلى البلاد العربية وكان تحت إمرته الفيلىق الرابع والجيش الثامن وهو مؤلف من ٤٠ ألف مقاتل فتأخر جمال باشا برهة وجاء البيكباشى ممتاز بك<sup>(٦)</sup> «قائد ألف» فحشد من قبائل بدو

(٥) كان الصدر الأعظم العثمانى مصراً على التزام الحياد ويؤكد كل يوم لسفراء الدول أنه لا يغير بامته أما وزير الحربية أنور باشا وحزبه فكان همهم حمل قومهم على الانضمام إلى ألمانيا.  
(٦) ياور أنور باشا اقتداء بموسى بن نصير لما أرسل مولاة طارق بن زياد إلى الأندلس وفتحها.

السبع آلفين ما بين فرسان وركبان ومشاة واخترق الصحراء الجرداء الخالية من البشر لأن الإنكليز تراجعوا إلى ما وراء القنال ثم ورد أشرف بك<sup>(١)</sup> ومعه لقيف من الأفغان والجرکس والمغاربة ومتهوسى الوطنية وكان مستشارة الألماني هلد نغورف وبيده أمر من أنور باشا بإعطائه ما يريد ثم التحق بممتاز وأوقعوا بطلان الإنكليز وناوشوهم مرات فلم يحلوا منهم بطائل.

وكانت الأوامر صادرة بتأسيس مداخل الأرزاق «أنابر» وبناء المؤسسات العسكرية وحفر الآبار وجر المياه وتعمير الطرقات وتشكيل «أقوال» قوافل الجمال وغير ذلك نخص كلاً من هذه المواضيع بكلمة على حدة.

#### ٨٨ - التموين «مداخل الأرزاق» :

قبل أن تقدم الدولة العثمانية على الحرب أخبرت الأمة بإعلان النفير العام وكانت تتوقع العصيان فأطاعها الأهليون ولبوا نداءها فسرت وعينت قومسيونات «لجائاً» لجمع الذخيرة فصاروا يطوفون الحوانيت ويأخذون منها ما أرادوا ويجمعون الحيوانات والدواب والأرزاق ويقدرون الأثمان ويعطون لأصحاب السلع سندات بقيمتها حتى كثرت لديهم الأرزاق فأمروا بتأسيس مداخل لها فى كل محل وجعلوا المدخر العام فى بئر السبع فكان لا يخلو مركز عسكرى أو ملكى من أنبار ثم توسعوا فانشأوها فى الصحراء ونشروها من شمال البلاد إلى قرب قنال السويس.

#### ٨٩ - وسائل النقل «النقلات» :

تكذست الأرزاق فى مخازن الدولة فاحتاجت إلى ما ينقلها ويوصلها إلى الصحراء حيث الجبهة الحربية وأنى يتم لها ذلك ولا طرق عربات ولا خطط حديدية تشبك بها البلاد وتتصل بها الصحراء فاحتاطت لتدارك هذا النقص وجمعت ما يربو على ٤٠ ألف جمل غير عجالات النقل وطابور الحمير والبغال

---

(١) جركسى الأصل ورئيس عصابة فى البلقان ومن أبطال الثورة الأنوروية والإنقلاب العثمانى وكان مدرس عصابته الجلد.

والحمالة<sup>(٥)</sup> وقسمتها إلى شعب وطوابير وأقوال مرتبطة ببعضها البعض وربطتها بمفتش ورقيب ألماني فكانت تسير هذه القوافل من أقصى بلدان فلسطين إلى جوف الصحراء محملة بالأرزاق والآلات فلم تف بالحاجة واضطرت الحكومة إلى مقابلة المتعهدين لإتمام هذا النقص فقصرت همتها عن إيصال المنقولات في حينها إلى محتاجيها وقد نكبت بموت كثير من جمالها لإهمال الضباط وقلة اعتناء الأفراد بها فكنا نرى أشلاء الجيف ورممها مطروحة على جوانب الطرق متعاطفة على بعضها بعضاً. هنالك أمرت بمد الطرق الحديدية وتمهيد سكك العربات وحصرت مهمة الجمال في توزيع الأرزاق على الجنود داخل الصحراء وورد عليها «أوتوموبيلات» ألمانية ونساوية ولكن بعد فوات الوقت.

#### ٩٠- تعبيد الطرق «العمليات» :

عجزت الحكومة بواسطة الجمال أن توصل الأرزاق والمعدات الحربية إلى الجند في وقت الحاجة إليها فأمرت بإنشاء الطرق وجمعت ضعفاء الجنود والعجزة الذين لم يتمكنوا ولم يتدربوا على حمل السلاح «سلاحسز» وأطلقت سجناء القدس وشكلت منهم طوابير «فرق عمال» وجهزتهم بما يلزم من الأدوات والآلات وأمرت عليهم الضباط المتقاعدين وجعلت بعضهم لتعبيد طرق العربات وبعضهم لمد السكك الحديدية «والده قويل» وإنشاء المؤسسات فمدوا طريق القطار من العفولة إلى بيرين جنوبي الحفير يقطعها الراكب في ثمانية أيام. وأوصلوا طرق العربات بكل مركز عسكري أو نقطة حربية وداومت عملها حتى سئم الجنود وفروا فأجبرت الحكومة أهل القرى على تقديم عمال إليها وكانت تراقبهم بضباطها فنظمت جميع ذلك وهي على وشك الوداع.

#### ٩١- المؤسسات «الإنشاءات» :

لما كانت ساحة فلسطين الحربية منحصرة في الصحراء الخالية من الموارد الطبيعية كالغذاء والمياه والبناء عازمت الحكومة العثمانية على إيجاد هذه الأشياء

(٥) أشخاص يحملون الأرزاق والأشياء من القدس إلى الخليل والسيخ.

فحفرت الآبار وجرت المياه في القساطل «الأنابيب» إلى مسافات بعيدة وبنت أحواضاً لسقى الحيوانات وصنابير «حنفيات» للشرب وبنوا المستشفيات ومستودعات الأرزاق ومحطات للسكك الحديدية وللبريد والبرق<sup>(٥)</sup> ومحلات للضباط. واستغنوا عن كل هذا في المدن فتبسطت واستولت على جميع المؤسسات الأجنبية وامتلكتها واستعملتها لما يلزمها فأخذت نوتردام والمسكوبية والدومنيكان ومدارس الفرير والمطران والصلاحية. وأسسوا دار الصناعة والإصلاح «معامل» فكان إذا ما تخرّب شيء يعمر حالاً أو يعطى عوضه وقد اكتسب الأتراك من الألمان جرأة فعبثوا بأوروبا وافترضوا هيبته واحتقروا عهودها وداسوا معامداتها وعاملوا دولها معاملة النظير للنظير.

#### ٩٢ - البعثة الألمانية العسكرية :

تسلل بعض ضباط الألمان وتجنّد من كان في سورية وانخرطوا في الجيش العثماني فرأبنا أمرهم وانتظرنا العقبى وسرعان ما رأيناهم قد انضموا إلى قائد الحدود فون كريس Kress von Kresstein فأعطى كلاً منهم العمل الذي يصلح له وفتح الخواجه «فاست» مطاعم ومنازل خصوصية لهم يأوون إليها. فلما اتصل الألمان بالأتراك أرسلوا حملات نمساوية وألمانية مؤلفة من طوابير «قطع عسكرية» وفيهم الطيارون والمدفعيون والمشاة وسائقو «الأتوموبيلات» فاستقبلهم القائد العام «فون كريس» وحاشيته بحفاوة وخطب فيهم على محطة بئر السبع فقال :

أيتها الأبطال ! أنتم أبناء من احتلوا باريس وشهدوا موقعة سيدان أنتم بأنفسكم قد اخترقتم قلاع البلجيك ودككتم حصونها وتغلغلتم في أقاليم فرنسا ومزقتم جيش روسيا أنتم الذين جرعتكم جميع أعدائكم الهوان وها أنا قد أتيت بكم لأنفذ بعزمكم الألماني في شريان إنكلترا عدوة الإنسانية ولتنزعوا من يدها القنال وتشفروا البشرية المتألّة من ظلم واستعمال إنكلترا... إلخ.

(٥) كثرت في هذه الحرب أسلاك البرق والتلفون والتلغراف اللاسلكي.

ثم ساروا وقد أعد لهم مخيماً فاخراً فكانوا ينامون على سرر ويأكلون طيب الطعام وأعذب الشراب وكانوا أنى ذهبوا يصحبهم الرخاء وأنى ساروا يوفر إليهم خير المآكل فطمعوا واستطالوا على الأتراك واحتقروهم فحدثت نفرة بين الفريقين كادت تفضى إلى سوء العقبي فأسس الأتراك جمعية فى بئر السبع غايتها مقاومة النفوذ الألماني فكبحوا جماحهم وخففوا من غلوائهم وظلت الفرق الألمانية والنمساوية تصحب الجيش التركى حتى الانهزام الأخير.

#### ٩٣ - الجراد :

لم يكف الناس ما حل بهم من البلايا حتى فاض عليهم طوفان من الجراد فأكل الزرع والأثمار ورعى المشب وقشر الأشجار ثم غرس فى الأرض وباض وفرخ فاستعد السكان لدفعه وقاومه ولكن حاولوا عبثاً فانتشر ثانية زاحفاً على الأرض وطائراً فى الفضاء لا يأتى على شىء إلا ذهب به ففزعته الحكومة وعينت جنوداً ومأمورين ملكيين لتلافي ضرره وكلفوا أهل البلاد بإتلافه فعجزوا عن رد غائلته وفى الحقيقة أن من كان يراه سابقاً على الأرض يتوهم أنها مادت به أو أن هنالك بحراً رجراجاً فتضعضت الحالة الاقتصادية وساءت الحركة التجارية فزاد الغلاء واشتد الفقر وتحطت الأرض وقاسى الفقير الويل والعذاب.

#### ٩٤ - الحركة الاقتصادية :

أعلن النفير العام فانقطعت الواردات الخارجية وغلّت أيدى أهالى فلسطين ودخلوا فى الجندية فأهملت الأرض وقللت الحاصلات لاسيما أن الحكومة أخذت تجبى ضرائبها عيئاً فتأخذ من الغلال حصتها وتشتري ثلاثة أضعافها وزاد على ذلك ظلم المأمورين وتقديرهم الكمية بأكثر مما هى ولم تقف أيضاً عند هذا الحد بل صادرت جميع الحاصلات وعينت لكل فرد من الأهالى مؤونته وبذاره فقط واحتكرت البقية فسئم الزارع ومل الصانع وفرغ حانوت التاجر فعمت الظامة وجلت المصيبة وارتفعت الأسعار أربعة أضعافها وتعددت حوانيت بيع الأثاث المستعمل Second hand فصار كل محتاج يعرض ما لديه ليبيعه بثمن بخس يشتري به قوتاً لعائلته الجائعة وعظمت الرزايا بهبوط أسعار الورق النقدى

فإن الليرة العثمانية نزلت إلى ١٨ قرشاً ومع دناءة سعرها ورخصه فإنها كانت في جبهة الأسد «وبها تقضى الحاجات».

#### ٩٥ - الصحة العمومية :

قلما تحدث حرب إلا ويصحبها الوباء والعلة فيقل الغذاء ويفسد الجو والصعيد فتنتشر الميكروبات وتكون الأجسام قد ضعفت عن مقاومتها فتتفشى الأمراض وتفتك الأدوية كما شاهدناه أثناء الحرب. فقد احتاطت الحكومة لمنع وقوع هذا العارض وأسست طوابير تنظيفات «كناسة» وأكثرت من الأطباء والصيدالة وأناطت بهم مراقبة الأمور الصحية فهجمت الحميات والأمراض السارية وانتشرت الدسنتاريا والكوليرا والتيفوس والتيفوئيد فحصدت النفوس ونهبت الأعمار وكنا لا نرى غير وجوه شاحبة وأجسام ضعيفة منهوكة القوى.

#### ٩٦ - الأخلاق العمومية :

في خلال هذا الحرب رأينا من فساد أخلاق بعض الشرقيين ما زهدنا في الحياة فإنهم نحروا الفضيلة وأقاموا الرذيلة وتبدلوا مفتخرين بالعيوب والمساوي فسخط الفضلاء ظانين أن هذا المرض سرى بين بنى قومهم فلم يتعدهم ولم يتجاوز سواهم. فلما أتت الجنود الألمانية والنمساوية وجدناهم أحط منا وأجرؤ على ارتكاب الموبقات فحولنا ومقتنا أعمالهم وأخلاقهم المنحطة وسلوكهم الحيوانى وتوهمنا أن المرض التركي تمشى في مفاصلهم وتسرب إلى آدابهم فلما قدمت الجيوش الإنكليزية المزيجة من عناصر الأرض وجدناها أدنى وأحط فلا عيب تتوقاه ولا حرام تأباه فعلمنا أن الحرب مفسدة الأخلاق وأى حرب أعظم من هذا لاسيما أن سكان المدن ومن جاوروا معسكرات الجنود كانوا أكثر فساداً من سكان القرى البعيدة عنهم.

#### ٩٧ - الديوان العرفى :

أعلنت الحكومة العثمانية الحرب وأمرت بتطبيق الأحكام العرفية فى جميع أقطار مملكتها فكان الديوان مؤلفاً من مجلسين: هيئة تحقيقية «اتهام» ومحكمة

عرفية فاتخذوا مركزه في القدس بيت القسيس سايكس قبالة الكنيسة العربية. فكان جحيم المحاكم وبلية البشر. أعضاؤه ضباط عسكريون تربوا على سفح الدماء فهان عليهم القتل وسهل لديهم احتقار البشرية والآمها. في حكمه القضاء المبرم والموت العاجل فإذا سيق المتهم إلى الهيئة التحقيقية استنطقه الضرب بالسوط والكي بالنار والتعذيب الشديد فيعترف بالجرم المنسوب إليه وإن لم يكن فاعلاً لأن الموت العاجل أخف من العذاب المتطاوّل فيكتبون إقراره رسمياً ويعتبرونه شرعياً ويحولونه بأوراقه إلى المحكمة العرفية فإن خالف قوله الأول نزلوا عليه بالسياط وإن قبله تحكّم عليه بأقصى درجات العقاب وتحول قرار الحكم إلى الحاكم المطلق جمال باشا السفاح<sup>(١)</sup> الذي يفعل ما يشاء ويختار ما يريد فييرمه بلا تردد وكم من ذنوب ارتكبوها وخطايا اقترفوها ابتغاء مرضاة السياسة فإنهم اغتتموا هذه الفرصة وأخذوا يطبقون سياسة العسف والقسر فأبعدوا الفرق العربية والجنود السورية عن بلادهم ونقلوها إلى غاليسيا والدرنديل والعراق واستبدلّوهم بأترك وألمان ونمساويين وتمردوا وجاروا فأمر جمال بمحاكمة أعضاء مؤتمر باريس ومن اشتهر بهم من فتيان العرب الناهضين وشبابهم المتنورين فنفي البعض وساق البعض إلى عالية وحاكموهم وحكموا على كثير منهم بالإعدام فتشفع فيهم جلالة الملك حسين وطلب العفو عنهم فردت شفاعته ونفذ فيهم الحكم فاحتقدتها وثأر لهم قائلاً:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دماً

## ٩٨ - الثورة العربية :

كتم جلالة الملك حسين غضبه وغيظه واستدعى الفرقة المتطوعة<sup>(٢)</sup> التي قدمها لجمال باشا بحجة أن يستبدلها بغيرها ودعا إليه ابنه فيصلاً وقطع علاقته مع الأتراك وأصغى إلى مفاوضة الحلفاء الذين قطعوا له عهداً ومواثيق باستقلال

(١) في سنة ١٩١٧م ضعفت سلطته وصار جرم الإعدام لا ينفذ ما لم يصدق عليه الخليفة.

(٢) كانوا يلبسون البسة بيضاء وكفافي حمراً وهم أربعة آلاف شخص صادمو الجيش الإنكليزي

وكانوا ينشدون أهازيجهم العربية ولا يتقيدون بنظام في الحروب.

جميع البلاد العربية فأعلن الثورة وعضده قساورة الحجاز وعرب الحويطات فما كاد يبلغ هذا الخبر مسامع العرب حتى انسحبوا من صفوف الأتراك والتحقوا بهم ولم يبق منهم إلا من سدت في وجهه الطرق فانتلمت الثغور وتعطلت الإدارة والتحق قسم كبير من الضباط والأفراد بجيش الأمير فيصل وقتلوا وظلوا يتكاثرون إلى أن ضخم الجيش وسرت الشعلة إلى كل الجهات فاعترف أكبر قائد في فلسطين بقوله إن أهالي البلاد العربية أشد عداوة لنا من الإنكليز.

### ٩٩ - الحملات الحربية :

كان يجب أن تقدم هذا البحث على غيره لما له من الأهمية ولكننا فضلنا أن نمهده بمعداته الأولية ليتنبه القارئ أن النصر لا يكون بكثرة الجنود فقط بل بما يلزم لها من الذخائر والوسائل الثقيلة والتغذية والاعتناء الصحي والفرن العسكري

أعلن الأتراك التغيير العام وهم بين عاملين التزام الحياض أو دخول الحرب فنازل بهم أنور باشا وحزبه حتى حملهم على اقتحامها فعضدوا الألمان آملين أن يكون لهم النصر فيسترجعوا إمبراطوريتهم العظمى فاستسلموا لهم وولهم الأعمال وإدارة الأمور فسيظروا عليهم حتى إن جمال باشا بعظمته كان يخشى فون كريس ولم يستطع أن يرد له طلباً فلما اجتمع القواد للمذاكرة أصر على مهاجمة القتال بقوة كبيرة لاعتقاده أنه يدخل مصر بسهولة بناء على استكشافاته أن قوة الإنكليز كانت ضعيفة فخالفه سعد الله بك رئيس أركان حرب جمال باشا وكان رأيه أن يرسل بضعة طوابير لشاغلة الإنكليز ومساجلتهم فقط لأنه يرى أن اختراق الصحراء بجيش كبير لا يرجى منه نفع فاستشاط فون كريس غضبا وأرغم جمال باشا على اتباع رأيه ونبذ سعد الله وقوله وفصله من القيادة العامة ثم زحف بقوة مؤننة من ثلاثين ألف جندي مسلح وكان وراءهم فرقة أزمر انمنازة فوصلوا القتال وكتفوه وبعد معركة ثليلة فشل العثمانيون وعادوا أدرا حيم ولكن «هون كريس» بقي مخدما في «الابن» يتردد على جميع مراكز الصحراء ويغير على الإنكليز

ويشاغلهم بأربعة طوابير فقط وقد استدرج الإنكليز مرة وأوقع بهم فى قطية وأسر منهم أميرالاي وضباطاً وجنوداً ولكنه لم يعق سيرهم فتقدموا بطريقهم الحديدية ومياهم النيلية إلى أن بلغوا العريش واحتلوها وأخرجوا الأتراك من الصحراء وانقضوا على غزة فكادوا يمتلكونها ثم خسروا الموقعة واستطال العراك فلم يظفروا بحاميتهما وثبتت أمامهم فالتفوا حول جناح الأتراك الأيسر «السبع» وعطفوا عليه فانسحب إلى الورا وتراجعت القوات إلى الشلالة ثم وادى الصرار وهناك انشطرت إلى شقين أحدهما ارتد لحماية القدس والآخر ساح فى سهول طولكرم فتعقب الإنكليز الشق الأول وأوقعوا به فى بيت عور والنبي صمويل وحصروا القدس ودخلوها فى ٩ كانون أول سنة ١٩١٧م وظلوا يدحرون فلول الجيش إلى أن رسخ على خط متعرج فخذق الإنكليز أمامهم من السلط إلى سنجل ودير غسانه ومجدل يابا وحرم على بن عليم وطال بالمقاتلين المقام وهم فى سجال حتى اخترق فرسان الإنكليز خط طولكرم واكتسحوا الجيش التركى وأسروا أكثره وقابلهم الجيش العربى فى ذرعا فاشترك معهم وهجموا على سورية يطاردون الأتراك فأخرجوهم من البلاد العربية وتولى الإدارة فى سورية جلالة الملك فيصل وفى الساحل فرنسا وفى فلسطين إنكلترا.

انحسر الأتراك عن بلادنا ولم يتركوا لنا شيئا من المدنية. حكمونا ٤٠٠ سنة فأين ثكناتهم العسكرية؟ وأين طرقهم العمرانية؟ أين مدارسهم ومعاهدهم العملية؟ أين آثارهم الفنية وإصلاحاتهم المدنية؟ لا شيء من هذا.

سلم الأتراك للحلفاء مطالبهم ف عقدوا المؤتمرات وحكموا عليهم فى مؤتمر سيفروسان ريمو وفرساي بنزع جميع أملاكهم فى أوروبا وإعطائها لليونان وتكون الأستانة والمضايق تحت مراقبة الحلفاء ومنطقة أزمير لليونان وأصاليا لإيطاليا وكليزيا لفرنسا وسلخت عنها جميع جزر الأرخبيل وسائر البلاد العربية والكردية والارمنية وأجبرت تركيا على التنازل عن جميع حقوقها فى كل بلادها المحتلة من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وقبلوا ذلك إلا أن البطل التركى مصطفى كمال باشا

أبى أن يقر الذل في أمته وانسحب إلى الأناضول والتف حوله خيرة قومه وأصبح جيشه على قوة مدهشة وساعدته السياسة على ذلك فاخرج إيطاليا من أضرابها وفرنسا من كليكييا وحارب اليونان وقذف بهم في اليم واحتل الآستانة وحصن عدويتها وقبل الحلفاء مندوبيه في مؤتمر لوزان بعد أن رفضوا وألغى المعاهدات الأولى.

١٠٠ - الهجرة :

ما قرب الجيش الإنكليزي من بلاد مستحكمة إلا وظن الأتراك أن أهلها يضمرون لهم سوءاً فيفرغونها من السكان ويأمرونهم بالمهاجرة إلى بلاد قاصية فقد هاجروا غزاة وياقفا وأكثر القرى التي كانت تقع على خط النار أو بين الخططين خشية اتصال الجواسيس أو نقل الأخبار فلما أتى الإنكليز وجدناهم يعقبون عين تلك السياسة ونفس هذه الإدارة فإنهم ما دخلوا قرية إلا أخرجوا أهلها منها واعتقلوا كثيرين فضاع أثاث الأهالي وفقدت سلعمهم وكم بناء هدم في سبيل الحرب.

١٠١ - لمحة اجتماعية :

لم نحلم بما كان مخبئاً لنا في لوح الغيب فقد جاءت الحرب وجاء معها الشقاء ففقد من البلاد الكبريت والكاز والسكر والقهوة والأرز وغير ذلك من الواردات الخارجية فتبرم الناس من ذلك ثم ألفوه واستعاضوا عنه بغيره ولكن قلت الضيافات والزيارات وعذر بعضهم بعضاً وقصر اللسان عن اللوم فبرزت المخدرات إلى العمل وتسايقن في جلب المعاش وإحراز القوت [ إلا أن الفلاح صاحب الحاصلات ظل حاله مستوراً ] وقد كنا نرى النعل مرقعة واللباس مرفوفاً والطربوش مقلوباً حتى إن المسافر يخلع نعله توفيراً.. ولكن اجتماع الجنود والأهالي بعضهم البعض أكسبهم فائدة الاقتباس وشاهدوا الألمان واحتكوا بهم فنقلوا عنهم كثيراً وساروا خطوة واسعة إلى الأمام فالقروى الساذج الذي

عاشر المدنى قيس عاده وما حسن لديه وأبناء المدن الصغيرة سرت لهم  
العدوى لما عاشروا أبناء بيروت ودمشق وحلب واجتذبوا منهم الحسن ودبت  
فيهم ريح الحركة من الألمان وكذلك الإنكليز ثم أبصروا مساوى غيرهم فعلموا  
أنهم بشر ليسوا بخير منهم فلم يفضلوهم على أنفسهم وطمحوا إلى مساواتهم.